الملاحدة وآباؤهم

(الملاحدة كان أباؤهم قساة أو ضعفاء)

من أشهر أسباب الإلحاد النفسية ملاحدة كان آباؤهم قساة أو ضعفاء

١ - سيجموند فرويد: (١٩٣٩ - ١٨٥٦)

اخترنا أن نبدأ هذه الشخصيات بالتحليل النفسي الذي طرحه بول فيتز لشخصية فرويد، باعتباره الأب المؤسس للتحليل النفسي، بالإضافة لكونه من أشهر الملاحدة في العصر الحديث.

كان سيجموند فرويد شخصية غامضة شديدة التعقيد ويجمع كل من كتب عنه أنه كان مقاتلًا شجاعًا حتى إنه تصدى جسديًّا في شبابه (باعتباره يهوديًّا (للمعادين للسامية، وكان يعجب بالمقاتلين كما كان مقاتلًا شرسًا كأحد كبار المفكرين الملاحدة، فما علاقة ذلك بعلاقته بوالده؟

لم يكن جاكوب والد فرويد مثيرًا لإحباط ابنه فحسب، بل كان أسوأ من ذلك لقد كان ضعيفًا عاجزًا عن إعالة أسرته؛ فتولت عائلة زوجته وآخرون الإنفاق على الأسرة.

كما كان جاكوب سلبيًّا تجاه عداء المجتمع لبني دينه اليهود (معاداة السامية)، وقد روى الأب لابنه موقفًا يشين حين وصفه أحدهم باليهودي القذر وألقى قبعته على الأرض، ويحكى فرويد كيف أنه شعر بالخزي إذ لم يصدر عن أبيه رد الفعل المناسب دفاعًا عن شرفه.

ويظهر تقصير جاكوب كأب بشكل أعمق في علاقته المباشرة بأبنائه، فقد ذكر فرويد في خطابين له أن والده كان منحرفًا جنسيًّا وأمه وأبناءه قد عانوا من ذلك.

كذلك أثرت علاقة جاكوب بالإله وبالدين في ابنه، فيروي فرويد أنه في صباه كان يقضي الساعات مع والده في قراءة الإنجيل وبعد ذلك اهتم جاكوب بالتلمود وبالكتب اليهودية.

باختصار لقد كان هذا الأب الضعيف الجبان المنحرف جنسيًّا مثلًا سيئًا لابنه، ونتيجة لذلك جعل فرويد كرهه لأبيه محور نظرياته في الطب النفسي وعبر عن ذلك بقوله في سيرته الذاتية: «يرينا التحليل النفسي يوميًّا كيف أن الصغار يفقدون إيمانهم بالإله بمجرد أن تنهار سلطة الأب واحترامهم له».

٢ - فولتير Voltaire (١٧٧٨- ١٦٩٤):

طرحنا في الفصل السابق عنه حديثًا عن عقدة أوديب مختصرًا لعلاقة فولتير السيئة بأبيه، والتي وصلت إلى حد رفض حمل اسمه وادعى أنه ليس أباه، وانتسابه إلى أحد الشعراء النبلاء، كما رأينا أثر هذه العلاقة السيئة فيما تبناه فولتير من أفكار وفلسفة وما طرحه من أعمال مرضية وفكرية.

٣ - لودنيج فيورباخ (٨٧٢ - ١٨٠٤):

كان الفيلسوف الألماني الكبير فيورباخ أول من صاغ نظرية الإسقاط التي تلقاها فرويد وألبسها ثوب التحليل النفسي وروج لها، وقد كان ملحدًا متعصبًا حتى لقب بـ «ضد المسيح»، ولد فيورباخ لعائلة ألمانية عريقة وكان والده» آن لم» قانونيًا ضليعًا مشهورًا وما زال يذكر بين القانونين الكبار حتى اليوم. وكان «آن لم» بروتستانتيًّا متحررًا لكنه كان عصبيًّا مدمنًا للخمر، موسوسًا وصعب المعاملة حتى لقب بلقب «فيزوفي» نسبة إلى البركان الشهير متكرر الفوران في إيطاليا.

ولا شك أن الحادث الأكثر تأثيرًا في حياة فيروباخ هو ما وقع عام ١٨١٣

حين كان في التاسعة من عمره لقد كان والده عاشقًا لزوجة أحد أصدقائه ورحل معها إلى مدينة أخرى وأنجب طفلًا أسماه باسمه وعاش معها حتى ماتت عام١٨٢٢، بعدها عاد الأب إلى أسرته.

إن هذا الموقف خاصة في المجتمع الأرستقراطي في ألمانيا في ذلك الوقت يمثل فضيحة كبيرة تركت في نفس فيورباخ جرحًا لم يندمل، وقد حدث ذلك في الفترة العمرية من ٩: ١٩ سنة وهي الفترة التي نتعلم فيها أن نحترم أو لا نحترم آباءنا.

٤ – كارل ماركس Karl Marx (١٨٨٣ – ١٨١٨):

تبنى ماركس النظرية التي أطلقها فيورباخ عن الإله إنه «إسقاط « لرغبة الإنسان في تقديس ذاته واعتبر أن الدين عملية مكتسبة متطورة مثل كل النشاطات الاجتماعية.

كان والد كارل ينتمي إلى عائلة يهودية، لكنه تبنى المسيحية بعد أن أدرك أنها توفر حياة أفضل في ظل ظروف المجتمع، وبالرغم من عدم وجود صراع بين كارل ووالده فإن موقفه هذا قلل من احترامه له وللطبقة البورجوازية التي ينتمي إليها، وقلل أيضًا من احترامه للديانات بصفة عامة بالرغم من أنه ظل يعتمد على دعم والده المادي.

لقد فرغ ماركس موقفه هذا من أبيه بكل ما يمثله (رمز السلطة الإلهية – رمز بورجوازي – تدني منزلة الدين) في النظرية الماركسية التي طرحها والتي تتخذ من الإلحاد محورًا لها.

٥ – هـ.ج. ويلز H.G Wells :(١٩٤٦ – ١٨٦٦):

هو الكاتب والفيلسوف الاجتماعي الإنجليزي الكبير، كان عظيم التأثير في الثقافة العامة في العقود الأولى من القرن التاسع عشر حتى إن كتبه أدت

إلى أن تبنى البعض الإلحاد وأن يكتب آخرون مفندين له.

ولد «هـ.ج. ويلز» لأبوين من الطبقة العاملة وكان أبوه بستانيًّا وبعد زواجه بستة أشهر فقد أبوه عمله واقترض أموالًا أنشأ بها محلًا تجاريًّا، ثم أهمل الوالد المحل وانشغل بلعب الكريكت والمراهنة عليه ولم يترك لأسرته إلا أقل الوقت، بل إنه فكر في بيع المحل لينطلق وحده إلى مكان جديد يبدأ فيه حياته، وأصبحت زوجته هي التي تهتم بالبيت والمحل.

وقبل مولد ويلز بعامين، ماتت أخته في سن التاسعة فجأة بسبب انفجار الزائدة الدودية، انهارت الأم انهيارًا تامًّا واعتبرت مسئولة عن موتها، ثم لامت زوجها الذي لم تجد منه الدعم في مواجهة هذه الكارثة. عاشت الأم تكتنفها المرارة والنكد وانهار إيمانها بالإله.

وبسبب ما مر بالأسرة من مصائب (موت أخته - انهيار إيمان أمه - سلبية أبيه وعدم دعمه لأمه) ثارت في نفس ويلز كراهيته شديدة للإله، وقد صرح بذلك حين وصف حالة أمه وهي تستنجد بالإله في دعائها، وأيضًا وهي تستنجد بزوجها في خطاباتها فيعلق قائلًا إنها لم تجد الإجابة من كليهما فهما غير موجودين.

وبعد موت الأب لم تعكس كتابات ويلز حزنًا ولا ضيقًا لفراقه.

كبار السياسين الملاحدة:

١ - جوزيف ستالين: (١٩٥٣ - ١٨٧٨)

يلخص أحد أصدقاء ستالين المقربين والذي عرفه منذ الطفولة علاقته بأبيه قائلًا لقد جعلت العقوبات الشديدة غير المبررة التي كان يمارسها الوالد على ابنه ستالين إنسانًا قاسيًا لا قلب له، وجعلته يعتقد أن كل أصحاب السلطة يكونون هكذا، مما جعله يكره رؤساءه.

بالإضافة إلى ذلك كان والد ستالين كثير الغياب في المدن المحيطة في بعض أعماله، وفي أثناء تواجده كان يشرب الخمر بشراهة ويضرب أمه التي كان ستالين ملتصقًا بها ويحبها كثيرًا، وقد أراد هذا الأب الشرس أن يصبح ابنه عاملًا في مصنع أو إسكافيًّا.

كذلك عانى ستالين مشكلات أخرى يعانيها بعض الأطفال كالجدري الذي تركه بعاهة على وجهه وإصابته في حادث ترك عاهة مستديمة في ذراعه الأيسر.

لقد عجزت والدة ستالين عن حماية ابنها الوحيد الباقي على قيد الحياة بالحنان وحمته من أن يحطم والده نفسيته كما دفعت ابنها للإلحاد بالكنيسة الأرثوذوكسية، وفي الوقت نفسه دفعته دراسته في المدرسة للإلحاد. وقد تخلى ستالين عن اسم عائلته الأصلي وتسمى باسم (Stalin) بالكلمة الروسية المقابلة لـ Steel = الصلب.

وكزعيم سياسي بطش ستالين بالكنيسة الأرثوذوكسية بشدة، وقتل عشرات الآلاف من رجال الدين بطرق قاسية للغاية حتى صار المثل الأعلى لكل من انتهج أسلوبه من الشيوعيين.

٢ - أدولف هتلر (١٩٤٥ - ١٨٨٩):

مثل ستالين كان هتلر يتلقى عقوبات شديدة غير مبررة من أبيه الذي كان يوصف بأنه متسلط أناني لا يهتم بزوجته الأصغر منه كثيرًا ولا يتفهم أبناءه، وكان قاسيًا مع الجميع غير متعاطف ضيق الخلق. وكان لهتلر أخ غير شقيق من أبيه أكبر منه وكان أبوه يعذبه بلا رحمة، ففر من البلدة ولم يعد إلا بعد موت الأب، وامتد إيذاء الأب إلى زوجته وإلى كلبه وبعد فرار الأخ تحمل هتلر كل قسوة الأب، مات الأب وهتلر في عامه الرابع عشر واستكملت الأم تربيته دون وجود لشخصية أبوية أخرى، وكان لهتلر ثلاثة إخوة من أمه ماتوا

في طفولتهم.

مثل ستالين دفعت أم هتلر إلى الكنيسة التي أصبح رافضًا لها في سن النضج حيث لم يقل هتلر كلمة طيبة عن المسيحيين. أما موقفه الكاره الحاقد على اليهودية فمشهور وغني عن الوصف ومع ذلك فقد احتفظ بقدر من الإيمان بالإله.

وقد تأثر هتلر بفيلسوفي العلمانية والإلحاد الكبيرين» شوبنهور» و»نيتشه» كما كان محبًا لهما ناقلًا عنهما عاشقًا لدفاعهما عن الحرية الإنسانية المطلقة.

وإذا كان البعض يرجع كراهية هتلر للمسيحية إلى جذورها اليهودية وقيودها على الحرية الإنسانية، فإن بول فيتز يضيف سببًا آخر لهذا الكره وهو رفضه للإله الذي تقدم المسيحية باعتباره «الأب» الذي يكرهه هتلر من أعماقه.

٣ - ماوتسي تونج (١٩٧٦ - ١٨٩٣):

لم يحمل ماو أية شاعر سلبية تجاه المسيحيين أو تجاه الإله باعتباره أبًا، فهذه المفاهيم كانت بعيدة عن بيئته الصينية. لكن طبيعة ماو الثورية وفلسفته الإلحادية كانت ترجع بشدة إلى علاقته بأبيه وكراهيته الشديدة له فقد كان والد ماو يوصف بطاغية العائلة Tyramt، وكان ماو وأمه وإخوته دائمي التمرد على أبيهم لذا نقول: إن كراهية ماو للسلطة وتمرده عليها يرجع إلى ظروفه العائلية.

ونختم وقفتنا مع إلحاد الطغاة بأن نؤكد أنه غير موجه في المقام الأول إلى رفض الإله عقليًا ونفسيًا بل إلى رغبة هؤلاء في الاستحواذ على السلطة، وقد رأينا كيف أن هذه الرغبة في الاستحواذ يقف وراءها منظور التقصير الأبوي.